نـافـذة

أخلاق العصر

قال محدثي: رغم ظلمة وظلم الظروف الراهنة، وما حدث ويحدث في وطننا العربي، فأنت لا ترى في الأزمات والأحداث ما يستدعي أن ترتجف منه.

قلت: الأزمة هي مرحلة ولادة وهي آلام مخاض، والأمم تنهار وتنتهي حين تنتهي الاستجابات وتبقى التحديات، وإننا مع بداية التاريخ ولسنا مع نهايته.. من يدرس ا لتاريخ العربي الإسلامي، وتاريخ الحضارات التي أينعت وازدهرت منذ آلاف السنين على أرض وطننا العربي، يدرك جيداً مدى حيوية التاريخ العربي ومدى تجدد العقل الذي كان يبحث وما زال عن التوازن بين الموروث والرافد، وعن تحول في الثقافة العربية من الاستهلاك إلى الإبداع، وما زال يبحث عن التوازن بين الحداثة والتراث.

قال محدثي: يعيبون علينا أننا لم نبذل حدّاً كافياً من الجهد المعرفي والعلمي، ويرون أن الفكر العربي ما يزال سكونياً.

قلت: في هذا الرأي مصداقية كبيرة، وفي تجارب الشعوب نماذج كثيرة يمكن أن يستفاد منها، وأهم ما يمكن الإشارة إليه تجربة اليابان التي تقدمت وتمكنت من الحداثة من دون أن تقع في تابعية مطلقة للغرب، وقد دفعت أثماناً باهظة من أجل ذلك، وتؤكد التجارب أهمية التنمية البشرية، فهي نقطة الانطلاق نحو استنهاض ثقافي متين، في وقت الانبهار بثقافة العولمة، والاعتقاد بأن عصر المبادئ قد انتهى، وعصر القيم السامية قد ولى. وأن المصالح وحدها هي التي ينبغي أن تحترم، فلا صداقات، ولا قرابة دم أو عصب أو لغة أو دين أو ثقافة، ولا عهد ولا ذمة ولا كلمة شرف، فحيثما تكن المصلحة تكن الحقيقة، وحين تستطيع أن تنال بالقوة شيئاً فهو حقك.. تلك هي فلسفة «ثقافة العولمة» التي تهدف إلى إلغاء الآخر، وتحطيم القيم الإنسانية السامية النبيلة الموروثة من الماضي البعيد.

لقد أوجدوا لهذه الأخلاق «العولمية» تسميات براقة، تحت لافتة «ثقافة العولمة» و«أخلاق العصر» و«مجتمع القرية الكونية» التي يحاولون من خلالها، وبكل ما تملك من قوة إعلامية وتقنية مادية أن تفسد المجتمعات البشرية، وينشرون ثقافة الوهن والهزيمة والاستسلام، والتطبيع والتخاذل المريع.. وكل هذا يتم ضمن تخطيط مسبق، وأهداف إستراتيجية مدروسة، ويريدون من شعوب العالم أن تصدق نظرية «الإنسان في العالم الثالث لا يشعر بالألم»!!

قال محدثي: وهذا يعني أن السكونية التي نعيشها بكل أبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، سوف تؤدي بنا في النهاية إلى مرحلة الانكماش والتضاؤل والزوال.

قلت: قديماً قال الفيلسوف اليوناني «هيراقليطس» جملته الشهيرة: «لا استقرار لشيء» ووفق هذا يمكن أن يكون اللااستقرار تطوراً مستمراً، وتغيراً إيجابياً دائماً، أو لا استقرار سلبياً، وهذا ما نخاف منه ونخشاه في عالم اليوم، الذي أصبحت فيه العيوب والمشاكل والأزمات لم تعد تدهش أحداً، ولم تعد تحرك أحداً، وهذا كله من نتائج مرض «حضارة العولمة».

د. علي القيّم

الاعتماد الناجح على البيئة في نسج القصة

الكاتب حسن م. يوسف يُخرس الكاتب الساخر في قصصه الجديدة

عامر فؤاد عامر

«تبدأ هذه المجموعة طقس إغوائها القارئ بالمضيّ فوراً إلى نصوصه بدءاً من علامتها اللغويّة، «الساخر يخرس»، المتلئة بحمولة دلاليّة باذخة على غير مستوى، ولاسيما تلك المحارفة بين مفردتيها، السخرية والخرس، ولاسيما أيضاً، وعلى نحو أدقّ، إذا ما أعيدت المفردتان إلى أصلهما الثلاثيّ: «سَخِرَ، و«خَرِسَ»، حيث الدلالة على مستويين بآن: الجناس غير التامّ باصطلاح البلاغة، والمفارقة لغة واصطلاحاً بأن بين السخرية والخرس، الأولى بوصفها اختياراً، والثاني بوصفه قدراً واختياراً أحياناً ثانية وإرادة آخر أحياناً ثالثة». اجتزأنا هذه البداية من مقدمة د. «نضال الصالح» لكتاب «الساخر يخرس» المجموعة القصصية الرابعة للكاتب «حسن م. يوسف».

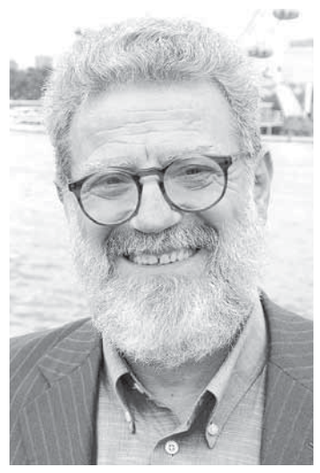

> المجموعة الرابعة تؤكد سلامة فنّ القصّة القصيرة السوريّة

شرق غرب

احتوت هذه المجموعة على ٦ قصص جاءت بمواضيع متنوّعة غير متشابهة، وفيها من وقائع الحياة وذكريات الكاتب الخاصّة، وعلاقاته عبر خبرة وتجربة ما تزال مستمرة وقادرة على التجدد والعطاء. البداية كانت مع قصّة «بحار من أوغاريت» التي أهداها الكاتب للبحار «خالد حمد» وهي قصّة مناسبة لبداية ترفع من مستوى الاعتداد بتاريخنا وماضينا المُشرّف، وتذهب بنا في حالة عتب وحزن على تفوّق الأميركي، والسماح لنفسه بتخطي الحدود في التعامل مع الآخر. في هذه القصّة «بحار من أوغاريت» موازنة في المقدرة، فمن يمتلك أساسات حضاريّة متينة يستطع التفوّق في أي موقف إن امتلك وعياً حقيقيّاً. وما فرضه القانون الأميركي على الزائر غير المرغوب فيه سمح لهذا الزائر وهو بحارنا بأن يرفض تطبيقه بكلّ حريّة.

أبو صلعة

جاءت القصة الثانية بنوع من المرح، والسخرية، والبحث الجاري بين الماضي والحاضر في قصة عن نكات الحماصنة وذيوع صيت خفة الدّم من خلال «صلعة حساسة» وهي قصة ارتكزت على حامل نفسي مهمّ جداً، مفاده أن الشخص لا يثق بنفسه في حال لم تكتمل ثقته بمظهره الخارجي، إلا أن القاصّ هنا يدفع بنا لفكرة اعتماد هذه القاعدة على الوهميّة، فالثقة بالنفس لا علاقة لها باكتمال المظهر الخارجي.

هدبا في آخر الدنيا

يتصارع الذكر مع الأنثى حتى في قصص «حسن م. يوسف» ففي قصة «هدبا» نرى أن الذكر يطغى ويزداد في طغيانه من خلال انتهازيّة الأب، ونذالة الزوج، واتفاق ذكور القرية على التصويب بنظرات مقرفة إلى جسدها الجميل، لكن على الرّغم من كل ذلك تتبدى الحقيقة واضحة للحياة ففي مشهد أخير من هذه القصة تأخذ دموع الأنثى بالسريان توقاً وشوقاً لعلاقة الأنثى بالحياة وجمالها.

تنافس الأطراف

تتميز القصص الست بتظافر أطراف متنافسة فيما بينها، والغلبة هنا ليست للطرف الأقوى أو الأضعف بل لمنطق الحياة، فمن الممكن أن يكون التفوّق للجانب الإيجابي أو السلبي وذلك وفقاً لقوانين حياتيّة انتظمت في نواميس البشر وفعلت فعلها تخفياً وراء رغباتنا ونحن أبناؤها. ويعتمد السرد هنا على بطل محوري هو مرتكز القصّة كالبحار أو هدبا أو ريم درويش أو الصحفي الساخر سميح، أو أبو صلعة، أو الواوي... لكن بالمقابل هناك من يتحدى وقد ينتصر أو لا، تبعاً للمنطق الذي أشرت إليه.

تتوسط القصص «الساخر يخرس»، وهي القصة الأكثر إيلاماً ففيها من الوصف القاسي لمعاقبة الصحفي الساخر في بلد عربي خليجي، ميئوس للحرية أن تعيش فيه وتدرك أملها. قد تحمل في بواطنها إما تحفيزاً للاجتهاد أكثر أو الاستسلام لمنظومة القوي والسلطوي والذي يمكن أن يجتثّ اللسان من فم الحقّ عندما يلزم الأمر!. «الساخر يخرس» وإن تمّ اختيارها لتكون باسمها صاحبة عنوان المجموعة كلّها، إلا أنها تحمل من الحقيقة الجارحة والمؤلمة كثيراً من التفاصيل، استطاع الكاتب أن يوصلها للقارئ بهدوء ومن دون تكلف في الوصف أو تطرف في الكره أو الحقد على صانع هذا الموقف على الرغم من تقطيع ٤ أعضاء من جسده في فترة سجنه القصيرة!

مغامرات الواوي

حملت القصص روحاً من البيئة في سورية فمن سهل الغاب وضيعة بطشيت إلى حمص ونكاتها إلى اللاذقية وجبالها... إلخ لكن شخصية الواوي كانت الخاتمة في هذه المجموعة وفي هذه الشخصية إسقاطات كثيرة ربما تقربنا كسوريين وربما في أجزاء منها فقط، لكن الذكاء والدهاء كصفتين مترافقتين كانتا من أكثر الصفات التصاقاً بهذه الشخصية التي تعلمت من تجربتها الكثير لتكون في أفضل مكان أو أسوأ مكان.

يرافق هذه القصص أسلوب من النقد المباشر حيناً وغير المباشر حيناً آخر، كما أنها حملت أسلوباً قريباً من سرديات واقعنا المعيش وتفاصيل الحياة اليوميّة، فقد حافظ الكاتب «حسن م. يوسف» على جمال اقتراب هذه القصص من واقع أي قارئ سوري أكثر من القارئ العربي، الذي قد يتوق للتعرف على الواقع ويتشوق إليه أيضاً. كما حافظ الكاتب على إضافة معلومات جديدة نجدها بين صفحات كلّ قصة من دون استثناء وكانت هذه الإضافات بين معلومة تاريخيّة أو مفردات لغوية منسوجة بطريقة تستوقف القارئ للبحث عن مناسبتها ضمن تراكيب وجمل وصياغات تجعل منه أكثر تعلقاً لكشف المغزى من القصة والتمعن في حبكة النهاية ودلالاتها. على الرغم من استخدام كلمات متكررة نجدها في كل قصة كما «احتقن وجّهه بالدم»، وغيرها. ويمكن بإيجاز سريع ومبسط أن أشير إلى إمكانية القارئ بتقليب صفحات هذه المجموعة من دون يأس أو ملل بل هاجس الشوق سيبقى مرافقاً له لتلقي عناصر كل قصة على حدة فلا تشابه بينها حتى في الشكل الإخراجي لها وتقسيم بعضها إلى أجزاء كان موفقاً بل منحها شكلاً لطيفاً وقريباً للفهم والإنجاز في قراءتها بصورة سريعة.

حبّنا السريّ

تتألف هذه القصّة من ٥ أجزاء قصيرة بمفاصل زمنية متلاحقة تعتمد على مفصل زمني من الذكرى البعيدة يرويها القاص بالاشتراك مع الراوية «ريم» عندما تنطلق في سرد آلامها في الحبّ أو وهم الحبّ!. لكن في الجزء الأول من الحبّ يتجلى مستوى الحبّ أكثر في العلاقة بين الكاتب والكتاب فهو يقاوم للحصول على نسخته من كتاب «بلاغات النساء» التي استعارها من أحد الأصدقاء مراوغاً في عدم إعادتها، وهي إشارة جميلة منه إلى علاقته مع الكتاب، أما في الجزء الأخير منها فكانت النهاية صادمة في ضربة باب السيارة بعد الاعتراف بأن ريم هي بطلة الحبّ السري للمجموعة، فتمّ إقفال النهاية بسرعة بعد سردها البطيء والناعم والقاسي لذكرياتها.

أصبح للطفل الذي تدّرب في «إنجاز» إنجاز درامي

سعيد سلام لـ«الوطن»: باكورة نجاحاتنا كانت بمشاركة أطفال بمسلسل «امرأة من رماد»

سوسن صيداوي

هناك دائماً مستقبل، ولأنه ضرورة وطبيعة إذاً لابد لنا من أن نقوم ببنائه بشكل صحيح، فالطفولة هي مستقبلنا ورغم الغفلة التي نريد أن نصدّقها بأنهم شيء صغير ولا يمكن له ترك أي أثر فيما نحن فيه نحن العمالقة في الزمن، إلا أن الطفولة هي من أهم الجزئيات التي يجب أن نبني عليها الأوطان، وانطلاقا منها نتقدم أو نعود إلى الوراء، وبحسب ما نبثّ في عقولهم ونفوسهم من أفكار، وخصوصاً أنهم يمثلون العقول الغضّة والنديّة والقادرة على استيعاب ما يقدم إليها، وباعتبار مجتمعنا السوري في بعض أوساطه صاحياً لهذه الحقيقة، وبسبب الأزمة التي دمرت كل ما يمكن أن يدمر كان هناك بعض الجهات التي اتخذت على عاتقها الاهتمام بالطفولة والعناية بها بشكل حريص كي تزيل عنها ما توارثته خلال الأزمة من انكسارات نفسية وعاطفية لا يمكن تجاوزها بسهولة، ومن المبادرات المهتمة كان فريق «إنجاز» الذي يعتبر حلما فنيا، وابتدأ منذ نحو عشر سنين.

صحيفة «الوطن» كان لها اللقاء التالي مع المدير الفني لفرقة إنجاز.. الكوتش سعيد سلام...

الكوتش سعيد سلام أثناء التدريب

...ومع عبد الرحيم الحلبي في فيلم «زيتونة سعد»

> هناك عتب كبير على الجمعيات التنموية ومؤسسات الدولة التي تُعنى بالطفولة وتتجاهل الاهتمام بمواهب «إنجاز»

• في البداية أخبرنا عن «إنجاز»..

إنجاز فريق، وشعارنا فيه: النيات الطيبة تصنع المعجزات، أما رسالتنا فهي مساعدة الأطفال على رسم مستقبلهم وتزويدهم بمهارات الحياة، وعلى الصعيد الفني شعارنا هو « الطفل يجب أن يمثّل للطفل، فهو أدرى بمشاكله وهمومه».

• فريق إنجاز ممن يتألف؟

يتألف الفريق من: المدير الفني كوتش سعيد سلام، مدير تنفيذي سامر رجب المصري، ومديرة إدارية رؤيا عبدلكي.

• برأيك ما الهدف من تعليم الأطفال التمثيل؟

التمثيل من الأمور المهمة في حياة الطفل لأنه يزودهم بمهارات الحياة، كما أن للتمثيل دوراً جيداً لأنه يعزز الثقة بالنفس عندهم، ويعزز روح العمل الجماعي والتعاون مع الأطفال، وهذا أمر أصبحنا نفتقر إليه والتربية للأهل تعزز من فقدانه من خلال روح المنافسة التي تعكس الأنانية عند الطفل وتبقيه بعيداً عن المشاركة مع أمثاله من الأطفال، إضافة إلى أن أهمية التمثيل تبرز في زرع القيم الإنسانية وتساعد على تنشيط القدرات الفكرية عنده وتُطلق خيال الأطفال، كما أنه عامل مهم لدفع الطفل إلى التعبير عن نفسه بشكل جيد وكي يكون قادرا على الإلقاء والفصاحة إضافة إلى بث روح النكتة والفرح بين أصدقائه.

• ما التدريبات التي تتبعونها مع الأطفال وهل تناسب كل الأعمار المشاركة؟

التدريب يتم حسب منهجية مطورة منّي، وتكون على الشكل التالي: يقوم الأطفال بالاسترخاء وأيضاً نعطيهم تدريبات من أجل ليونة أجسادهم، كما يتخلّلها تدريبات لتقوية الانتباه عندهم والتركيز، إضافة إلى حُسن الاستماع إلى الإيقاع، كما نقوم بتدريبات تساعدهم على التخيل والارتجال وحتى إنها تكون مخصصة للإلقاء، وبالطبع التدريبات والتمارين نقوم بتطبيقها حسب الفئات العمرية، فمثلا الفئة العمرية التي بين خمس سنين وثماني سنين تدريباتها مختلفة عن الفئة التي أعمارها تتراوح ما بين تسع سنين واثني عشر عاماً، وما أريد الإشارة إليه أننا أيضاً نتوجه ببرامجنا إلى حالات خاصة من الأطفال، وهم الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة والأمراض المستعصية، ومهما كان كلّ الأطفال ومهما كان عمرهم أو وضعهم، فإنهم يتم تحضيرهم وتدريبهم للتمثيل على المسرح والسينما.

• العمل المسرحي الأول لفريق إنجاز كان «لغز المحبة» هل لاقى نجاحا وإقبالاً من الجمهور؟

«لغز المحبة» هو خلاصة مشروع مع مفوضية اللاجئين لتدريب الأطفال على التمثيل ومساعدتهم على تجاوز الأزمة، وكان المشروع لتدريب ٥٠ طفلاً، ولكن فرقة إنجاز دربت ٣٠٠ طفل استفادوا منها بشكل مباشر، ونحو ٦٠٠ طفل استفادوا من المبادرة بطريقة غير مباشرة، والذي أقصده على وجه التحديد أن حصيلة تدريب الفرقة لعام ٢٠١٥ كانت نحو ١٥٠٠ طفل بإمكانيات جداً متواضعة، وبالنسبة لعرض «لغز المحبة» أقيم على خشبة المسرح الثقافي العربي بالعدوي، والمسرح بطبيعة الحال يتسع لـ٣٠٠ مشاهد ولكن كان الحضور ٧٠٠ مشاهد، ونال العرض استحسان الجميع وطولبنا كثيراً بإعادة العرض.

• كيف كان تفاعل أهالي الأطفال ودورهم؟

للأهل دور فعال في نجاح التدريبات ونجاح أطفالهم في التمثيل فهم عنصر فعال وضروري في ذلك، لأن دعمهم لمواهب أطفالهم وتشجيعهم هو نقطة انطلاق، كما أن ثقتهم فينا وعدم التدخل بعملنا هما أيضاً من العوامل التي تنعكس على عملنا وبشكل طبيعي على الأطفال إيجابياً وخاصة أن الأهالي متعاونون جداً وصبورون وتحملوا أعباء البروفات الطويلة.

• ما الجديد الذي يحضر له فريق «إنجاز»؟

إننا نحضر عملاً مسرحياً اسمه «الروزنا» عن رواية «جزيرة الكنز»، ونحن نعمل جاهدين كي نقدمه بطريقة احترافية لأنه سيكون نقلة نوعية في مسرح الطفل، وستضم المسرحية ٣٠ طفلاً، تتراوح أعمارهم بين خمس وثلاث عشرة سنة، وفي الوقت الحالي العمل جار على النص واختيار الأطفال، وسيكون جاهزا للعرض خلال ثلاثة أشهر والتحضيرات قائمة كي يتم العرض على قلعة دمشق، كما أن الفريق يقوم بالتحضير لسلسلة درامية موجهة للأطفال وفي الوقت الحالي العمل جار على كتابة السيناريو بعناية كبيرة جداً.

• بعض الأطفال الذين خضعوا لتدريبات شاركوا في.. مقاطع فيديو لصفحة «حلّوها».. وفيلم «زيتونة سعد»... وحتى مسرحية «لغز المحبة»... إذا يمكننا القول إنهم أصبحوا محترفين؟

بالطبع.. هؤلاء الأطفال المشاركون أصبحوا ممثلين محترفين بشهادة الجميع من مخرجين وممثلين، وأصبح للطفل الذي تدّرب معنا قرار درامي ومتميز بمسؤوليته وتعاونه أمام المخرج، وهذه حالة مختلفة عما يتم استخدامه من أطفال من دون تدريب والذين يكونون كدمى أمام الكاميرا، وهذا ما أرفضه، لهذا لا نقبل العمل إلا بمستوى أعمال احترافية، والباكورة كانت مع مسلسل «امرأة من رماد» من إخراج نجدة أنزور وسيناريو جورج عربجي.

• هل يستطيع كل الأطفال المشاركة بالتدريبات والتمثيل.. ولو لم يكن هناك القدرة المادية على الانتساب؟

نحن دائماً وأسبوعياً لدينا فعاليات تدريب مجاني، مع أننا نفتقد إلى أي دعم مادي أو حكومي، سوى جهود مشكورة من المركز الثقافي العربي في أبو رمانة، كما أننا نقبل كل الأطفال الذين يحتاجون إلى تدريب في التمثيل ثم نختار المواهب المتفوقة لتطوير التدريب معها.

• إذاً ليس هناك من دعم لفريق إنجاز؟

كلا.. وللأسف الشديد، وعتب كبير على الجمعيات التنموية ومؤسسات الدولة التي تُعنى بالطفولة والتي هي تتجاهل الاهتمام «بإنجاز» وما يقدمه من مواهب.